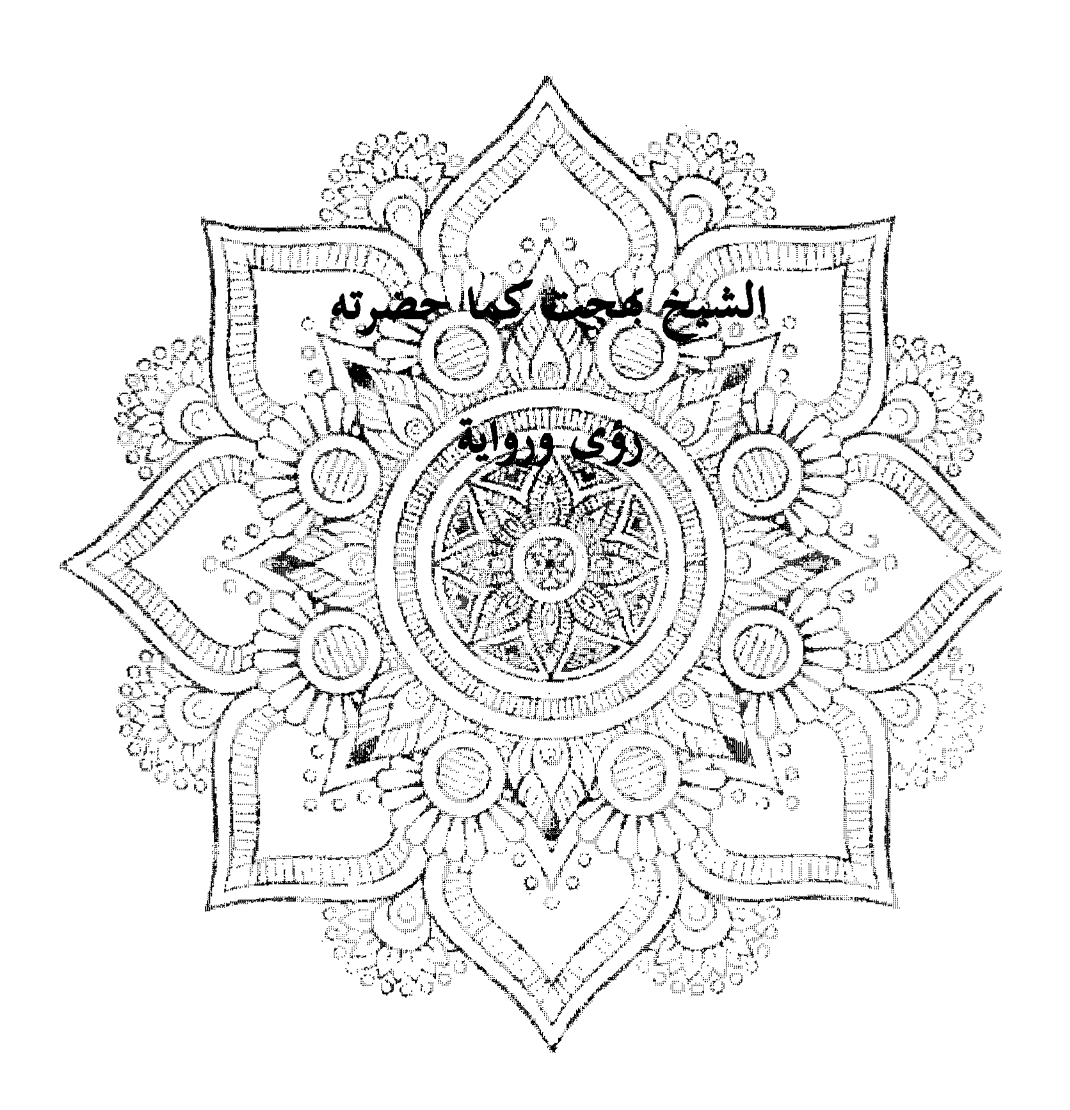
الشَّيْخُ بَهجت كَمَا حضَرْتُهُ

رؤى و رواية



الشيخ عبدالجليل البن سعد




الشيخ بهجت كما حضرته
رؤى ورواية


بسم الله الرحمن الرحيم

الشَّيْخُ بَهْجَت كَمَا حَضَرْتُهُ

رؤى و رواية

تأليف

عبد الجليل البن سعد



الطبعة الثانية

٢٠١٧ . ١٤٣٨ هـ

مؤسسة العروة الوثقى

بيروت ـ لبنان

هاتف: ٠٠٩٦١٣٦٠٦٨٢٩



السر الذي كتبه آية الله بهجت في قرآنه الخاص

كتب آية الله الشيخ محمد تقي بهجت هذا العمل الجميل في هامش قرآنه الخاص. وهو أن كل من يقوم بين الطلوعين أي طلوع الفجر الكاذب والصادق (٥ دقائق قبل أذان الفجر الى ٥ دقائق بعده) ويقول هذا الذكر تقضى حاجته بالغة ما بلغت حتى لو كانت التشرف بلقاء صاحب الزمان عليه السلام:

١٤ صلوات.

٤٠ مرة يا مولاي يا صاحب الزمان أدركني.

١٤ صلوات.

الرجاء النشر فليالي شهر رمضان
فرصة مناسبة للعبادة
نسألكم الدعاء

مقدمة الناشر :

إن دور العرفاء وأرباب السير والسلوك دور عظيم تخلقت له ظواهر عديدة على مدى التاريخ ومع مختلف الأمم والأديان وفي مشارب مختلفة أيضاً...

فقد برز ذوو الوجهة الصحيحة –لا المزيفون– منهم كالنور يستضاء بهم في مختلف الحياة ، وتزداد الحاجة الى مثل هذه السفن النوحية والتي عندما تمور الأرواح بأمواج المادة كما هو في عصرنا الراهن "عصر التقدم التكنلوجي" يكون ظهرها هو الموضع الآمن لتلك الأرواح المشرفة على الهلكة والغرق ...

وإن الشيخ البهجت من بين أرباب العرفان الذين سطع نجمهم عالياً فتعلق به القاصي والداني ، وأصبح محط عناية للمهتمين بالسير والسلوك.

وممن نظر إليه بعين الملاحظة كاتبنا الفاضل حيث كان ينظر إلى مواقف هذا العبد الصالح بعين الملاحظة والعمق ، وقد استطاع

وبحسب "هذا الكتاب" أن يجزء مواقفه ، ويعطي ويكشف ويحلل كل موطئ قدم ولمسة يد ولحظة عين مرت به وعايشها عن قرب مع هذا العارف الجليل بما يكشف عن سرها وتفردها..

واللافت في الأمر أنه لم يقدم ترجمة وصفية كما هو المعتاد لدى كتّاب السير..

بل نستطيع القول أنه قد ابتكر أسلوباً غير مألوف في درسنة الشخصية ، فاستطاع ان يدرسن شخصية هذا العالم الفريد ليكون لكل موقف من حياته خلفية صبها الكاتب تحت عنوان "رؤية" مهد بها للمقارنة الرقيقة بين شيخ العرفاء في هذا العصر وبين من ماثله أو فارقه من عرفاء ، ثم تأتي "الرواية" مطابقة للرؤية التي التمسها من المحضر الشريف، ليختمها بعد ذلك برسالة روحية وعصارة لذيذة تحت عنوان ثابت وهو :"عصارة السيرة"، والتي لا نبالغ إذا ما قلنا أنها ملهمة لطلاب الأخلاق الروحانية، يمثل استخلاصها من تلك السيرة العطرة فناً بديعا حري بأن يعمم على سائر كتب السير العلمائية.. كما أنها لا تخلو من النقد المتزن الذي لا تضارب فيه من غير نيل ولا

شخصنه لواقع بعض أهل العلم مما يتولد من المقارنة بسيرة الشيخ الراحل.. ونجد ذلك جلياً وواضحاً في الفصل الأخير من الكتاب (وضعه مع الألقاب والتسميات).

وعلى الرغم من أن الكاتب لم يعاصر "الشيخ بهجت" إلا فترة زمنية قصيرة كما ذكر لنا انها لا تتجاوز السنتين تزيد قليلاً أو تنقص ، إلا أنه عندما تبحر معه في رؤيته وروايته تتجلى لك صورة ثلاثية الأبعاد تجعلك تنتقل إلى حقبة زمنية ماضية تعاصر بعين خيالك ذلك الشيخ الجليل تسمع وقع خطوات قدميه وصوت إرشاداته وتوجيهاته ...

فقد أطلق العنان في ساحة العرفان لقلمه المبصر يضع بين كل نقطة وفاصلة درساً بأسلوب أدبي رفيع ولم يكن أدبا لغاية الإنشاء كما لاحظنا عند قراءتنا له، بل هو أسلوب عاطفي تدفق في قوالبه الأدبية يدلك على ذلك:

١- العاطفة الأدبية التي أفاضت الدعاء همسا ورسما للكلمات غير المتكررة وغير المسبوقة "سقى الله تربته من واصب رحمته" و "أسبغ الله عليه من نعيم الآخرة" و "فسح الله عن جنبيه" و "ألحقه الله بأوليائه" و

"قدس الله لطيفه" و "أحله الله دار الكرامة" وقد أصبحت هذه بحق من خاصية أدب كاتبنا.

٢- الاحتفاظ بصورة المشهد في أعماق الوجدان وفي ذاكرة الزمن، حيث يحملك على قارعة الطرقات وبين الحركات والسكنات في صورة ثلاثية الابعاد تجعلك تتعايش مع الموقف بصورة تفاعلية ، وبالرغم من أن هذه هي السمة العامة لكل حكايات هذا الكتاب ولكنني أبرز هنا تصديق ذلك في إشارة إلى الحكاية السابعة من باب "رؤية في تواضع العلماء" ، حيث أنها ترسم لك الاشتعالات العاطفية والوجدانية عند الكاتب التي جعلته يحفظ بداخله المشهد كما هو لا يبلى مع الزمن فإذا ما أرهفت سمع خيالك ستسمع معه وقع خطوات الشيخ بهجت وصرير الباب المفتوح وتحيته التي ظهرت من بين شفتين باسمين ترى بعين الإبصار مشيته الوقورة فتتجلى لك تلك الصورة بوضوح تام... وستتلقى كما لو كنت حاضراً الادب التعليمي المفعم بالرقة والجاذبية لدى العارف الكبير في توصيل ملاحظاته السلوكية الدقيقة إلى من يهمه امره من طلابه.

الشيخ بهجت كما حضرته

رؤى ورواية

في البدء كلمة:

إنّ حضوري عند سماحته كان لمدّة عامَين أو ما يقل أو ما يزيد ، فمن العادي أن لا يمثل هذا حضوراً خاصّاً يدّعى معه الوصول إلى كلّ ما لديه "رضي الله عنه وأرضاه" أو الاطلاع على ما تحت الموج من هذا البحر الطمطام، بل لم يتيسّر لي من المعرفة به إلّا بمقدار غرفات من بحر عرفانه، ولم أتمكّن من رؤية غير الظل المتصل بإنسانه الكبير، ولكن قلت لا بدّ من أن أمتشق القلم ولا بدّ للخواطر من أن تُترجم على السطور، وفاءً وأداءً بما كان قد أولانا من حنان قلبه وبسط روحه، بل قبل أن تمحو عاديات الزمن تلك الخواطر الجميلة..

وإنك لتشاهد اليوم وتسمع الكثير من طلبة العلم في قم المقدسة ومن مختلف الجاليات كُلا يدّعي شرف القرب من هذا الشيخ وما فيهم كاذب حاشا لله.. إلّا أنّ تسمّح الشيخ في الخلق للجميع وفيض قلبه بالمودة لهم وكلماته الجذّابة التي تسبقها نظراته السحرية، تجعل الواحد منهم يشعر وكأنه لم يكن هو الذي يبحث عن الشيخ، بل أنّ الشيخ

هو الذي كان يبحث عنه، وها قد رآني ورأى ذاك، فصار ينظر إلينا حينما اقتربنا منه، نظرة الحبيب المولـه إلى حبيب له بعد طول فقدٍ وغياب!

معرفتي بالشيخ عناية إلهية:

لست ممّن يعجب بالعالِم لعلمه، ولا ممّن يذوب في طريقة تكلّمه ولحنه، ولا ممّن يهش في وجهه لما يلفّ به رأسه وجسمه من أزياء الجامعة الدينيّة المتعارفة.. بل كنت أجد شدّة العطش ومضّهِ إلى العالِم الملكوتي والفقيه الرّبوبي، فبلغ البحث عنه مني المشقّة، وعلمتِ أنّ هذه نفسيّة تقبع بداخلي، لا أستطيع غوصاً لإخراجها ولا حيلة لزوالها، فتركتني أتنقل من بحث الخارج هنا إلى بحث الخارج هناك، في رحلة مقاربة للرحلة الإبراهيمية الخليلية مع النجوم والكواكب، فكلما استكنتُ إلى أحدهم وقلت هذا أكبر، رأيت منه ما أحسبه نقص الكمال وليس نقص الإيمان، فأسرع وأرجع عنه فارّاً حتى نظرت نظرة في الأعلام من حولي وقلت: يا ربِّ إنّي سقيم!!

واشتدّت ضغطة التفكير بي حتى صرت أهجس بترك قم والعودة إلى البلد الأم، فهاتفت أحد السادة الأعلام من أهل التزكية فهدّأ روعي ونفخ روح الأمل بقلبي، فقمت بواجب الشكر معه وعدت أضع رأسي ما بين ركبتيّ أعالج حَيرتي وأتحدث إلى نفسي:

أنا لا أريد عالما يغذّيني العلم إلّا مَن كانت صفته الصرامة والشهامة والسّكينة والوداعة وحسن السمت وحلاوة الهيئة في الجلسة..

أريد مَن إذا جلستُ إليه لا أشعر أنّه يشبهني، فأنا جاهل ومن يشبهني لا أستطيع أن أصدق أنّه عالِم؟!!

ربِّي.. ربِّي..

لقد قرأت كتاب سيماء الصالحين.. اللّهمّ اشهد أنّ الذنب لمؤلّفه فيما حدث ونزل بي..

لقد وجدت في أعلام القرنين الذين ذكرهما (الثاني عشر والثالث عشر) علماء أشبه بالمعصومين وأولياء أشبه بالملائكة ترى هل تحول هذا العالَم؟؟

هل أقول هذا ما كان أوّلاً، ولم يُخلَق مثلهم حاضراً؟!!

بقيَت هذه الاستفهامات تدور في باطني حيناً من الزّمن حتى حاك في خاطري أن أستفتح بكتاب الله عزّ وجل لحضور بحث الشيخ محمد تقي بهجت "طيّب الله رمسه" وإذا بالآية تصف ما هو شفاء لهواجس صدري {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ} [1]..!!

فعلمت أنّ طلبي بأن أرى في حياتي صوراً ممن قرأت لهم في سيرة الأوائل طلب مجاب ، فأغلقت القرآن وأعدت فتحه أصنع ذلك لمرات من شدّة الدّهشة..

ثم ذهبت إليه فوجدته.. نعم وجدته بركة الدّنيا في هذا العصر ولهذا اللّقاء تبينٌ.. فألق سمعك إلى ما نستهديك إليه عاجلاً بين السطور المستقبَلة.

---

[1] سورة ق آية ١٥

وضعه في التواضع والرّفق بالناس

رؤية في تواضع العلماء

إنّ العلماء يجتمعون مع الملوك وسلاطين الأرض في شهرة الاسم وحجم الصورة وذيعان الصيت والسمعة، بل أعظم فإنّ الحاكم ربما لا يتعدى حواجز بلده غالباً، لكن ترى من العلماء من لم تستطع حواجز اللّغات والقوميّات والأيدلوجيّات البشريّة من منع نفوذه.. وثمّة تفاريق بينهما ومن أولاها أنّ الحكّام يتوافق كبر السمعة مع كبرياء السيرة، فالصورة التي تحددت في ذهنك قبل أن تلتقيهم قد لا تنثلم بعد أن يتمّ لك لقاؤهم..

وأمّا العلماء فأنت ترى عظمة تتحدد صورتها عندك وأنت تسمع بهم، وإذا سلكت طريقك إليهم وجالستهم زالت تلك العظمة وبقيَت الهيبة والاحترام فقط..

تقف على أبواب مكاتبهم في قم المقدّسة والنجف الأشرف لترى أبوابهم مشرعة، وليس لهم طريق خاص يُخلى لهم إذا مشوا إلى مقاصدهم، بل يسيرون مع الناس غُدوّاً ورواحاً صبحاً ومساءً، ثم

ينشده عقلك لما ترى، فتقول في نفسك: ما أبعد ما رأته العين عمّا سمعته الأذن..

أحقّاً هذا هو الذي تتحدّث عنه القنوات الفضائيّة!!

أصدقاً هذا من يهزّ العالم بتوقيعه الذي لا يتجاوز بضع كلمات يعقّب بها على أحداث العالم!!

أفعلاً أنّ هذا الذي يتّخذ الأرض مجلساً وعامّة الناس جليساً، هو صاحب النظريات والمصنّفات والمحاضرات في أرقى وأعصى العلوم العقليّة والدينيّة!!

كان الشيخ محمد تقي بهجت"قدس الله لطيفه" واحداً من هؤلاء الذين إن استغربنا عظمتهم ونحن ننظر إليهم منعزلين عن أيّ اعتبار فسوف لا نستغربها ولا بواحد من مئة إذا ما نظرنا إلى المدرسة التي قذفت بهم إلينا، وهي مدرسة أهل البيت "عليهم السلام" فليس بعجيب أن تتغلب هذه المدرسة الأم على مخاضات الزمان فتلد لنا في كلّ قرن أقماراً تضيء الأرض التي تنبسط عليها ظلمة المادة...

الشيخ محمد تقي بهجت لم يتميّز بين الناس فحسب، بل تميّز بين

أقرانه من العلماء، فكما أنّ التواضع كان من طبع الجلّ منهم إلّا أنّ الكثير بقي متواضعاً في نفسه، ولم يحوّل تواضعه إلى دروسٍ عمليّة، وهنا نعرف بماذا امتاز الشيخ الفقيد في ميزة التواضع ذاتها، ومن هنا نعرف أيضاً أنّ الشيخ هو الممتاز على المميّزين من أقرانه وأترابه..

من سيرة تواضعه "كرّم الله مثواه":

(١)

بقي الشيخ كواحد من أولياء الله "عزّ وجلّ" المعاندين والمصارعين لإرادات الدنيا، لم يهزموا ولم يهنوا، كان يعيش . وهو المرجع الكبير الذي يصله الناس من مريديه بأموال طائلة في بيت بسيط ملبنٍ بالطين في نهاية زقاقٍ يقع في زقاق ، وكلا الزّقاقين يضيق بالسيارة فلا تصل إليه ولا يصلها الخارج من بيته إلا بعد مسافة لا تقل عن الستين متراً تقريباً، ولكنه بقي فيه حتى بعد أن ناف على التسعين!!

(٢)

ومن كريم تواضعه أنه كان يدخل إلى مدرسه الصباحي الذي يفيض فيه من علوم الفقه، وفيه ما لا يقل عن مئتي طالب، فتراه يتلفت يميناً وشمالاً مكرراً صيغة الاحترام الدينّية:

سلام عليكم.. سلام عليكم..

من الباب إلى أن يستقرّ في مكان جلوسه

وهكذا يفعل إذا وصل إلى مدرسه المسائي حيث محاضرة علم الأصول.

(٣)

إذا كان هناك من يداري قلوب الناس بتسمحه وتواضعه، فإنّ من الأولياء من يداري مبدأ التواضع نفسه، فيحتاط له بترك كل ما يعبث بإحساسه، ولو كان شيئاً قد أطبقت عليه العادة العامة، فشيخنا المغفور له كان إذ دخل مدرسه اليومي سار في تؤدةٍ ووقارٍ، وإذا ما وصل إلى المنبر الذي يرتقيه أساتذة البحث الخارج، انزلق تحته واتّكأ على جانب دون أن يرقى مرقاة واحدة للمنبر!!

(٤)

في ذات صبيحةٍ من الأيام كنت أعبر الطريق خارجاً من السوق القريب من بيته المبارك، وفجأة وقفت رجلاي عن حمل قلبي فأخذ قلبي بهما يحملهما لا يجدان إرادة إلّا ما أراد، فعطف بهما إلى بيت الشيخ دون سابق موعد، ولـمّا استقبلت الباب رأيت أنّ السابق لي إلى بابه طفل صغير لم يتحول عن العاشرة من عمره، فوقفت أنتظر خروج الشيخ، وإذا به يفتح الباب بعظمته ويخرج في قميصه الذي يصل إلى ساقيه ويغطي رأسه بالعرقجينة (الطاقية) وقد نزلت نظارة المطالعة إلى أرنبة أنفه، وصار ينظر من فوقهما مسلّماً محيّياً إيّانا، ولـمّا أراد أن يبدأ بي أشرت إلى الطفل وأنه قد سبقني، فحدج فيه الشيخ والابتسامة تشع على محيّاه وهو يستفضل منه بقوله: تفضّل .. تفضّل.

فأراد الطفل أن يتكلم لكن أرياقه قد جفّت فانحنى الشيخ بأذنه إلى شفتيّ الصغير ليسمع إخفاته، وانحَنيت أنا كالمتطفّل؟!!

فإذا بالطفل يقول: يا شيخ.. علّمني دعاء..

أجاب الشيخ على الفور وهو يعرف أنّ طفلاً كهذا ربما لن

يتمكن من حفظ كلمات تلقى عليه في أول مرة، ولكن ليس من الصعب أن يكون قد حفظ فاتحة الكتاب فقال له: عليك بسورة الفاتحة..

أعاد الطفل ثانية: الفاتحة؟!!

قال: نعم الفاتحة هي خير من كلّ دعاء!!

(٥)

عندما تصل المواجهة مع النفس إلى البعد الحربي، فإنّ السياسة الأخلاقية ستفرض المقاطعة التامة، وليس ذلك في مجال الواردات لا غير، بل حتى في مجال الصادرات والمنتجات..

لا تضحك من تصويرها بالحرب...!

أوليس سمي بجهاد النفس؟

أوليس رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم" ألح في جعله أكبر الجهادَين؟

وإذا كانت الحروب قائمة، فلن ينقطع نزيف صدماتها ولا بد من

أن تترك فراغاً شاسعاً في الموارد والمواد..

وهذا ما اتفق في جهاد الشيخ الولي مع نفسه، فقد أضاعت علينا هذه الحرب بينه وبين نفسه الكثير من نتاجاته الفكرية والعلميّة، فهو لم يُخرج شيئاً من آثاره في حياته بل لم يعبأ بذلك لأنه يرى في وجود الكتب والاسم على المجلدات إذا وضع في الأسواق يرى أن ذلك سيكون كالنصب واللافتات التي توضع على الطرق العامة، فإنها تدل النفس (العدو) بإشارات واضحة على مداخله، فيتوقع المباغتة حينها ثم الهزيمة!!

نعم..

هذه هي تجربة الشيخ العنيفة مع النفس...

حتى قد ظنّ السواد الأعظم من الناس، أنه لا يحسن أن يجر القلم..

والمفاجأة! أنني بعد أن زرت بيته (بيت الرحمة) وجلست في غرفته التي تعد أرشيفاً له رأيت أضابير وأضاميم من الأوراق المكدسة مطروحة على الأرض من الزاوية إلى الزاوية فسألت في دهشة ابنه الشيخ علي..

ما كلّ هذا؟

. هذه مصنّفات الشيخ الوالد!

. عرفني عليها يا رجل؟

ـ هذه دورة المكاسب المحرمة.. هذه في بحث الطهارة.. هذه دورة الأصول.. هذه.. وهذه.. وهذه .. بقيت أدور بعيني وبَناني في لحظات اللاإحساس واللاشعور، وصار لساني يردد كالمبرمَج:

لله أمك .. لله أبوك.. لله صبرك.. لله سرك الذي لم يكتشف بعد.. لأنت من قبيل السيد بهاء الديني" رحمه الله" الذي لم نعرف من آثار اجتهاده إلّا كلمة آية الله!!

لأنت من قبيل علماء وفحول الأحساء الحبيبة التي كانت تأتي على أوراقهم أيدي عاملة لا تحسن أن تقرأ فيحملونها بعد موتهم في أكياس الليف الكبيرة التي يُباع فيها الرز والحبوبيات وتجعل مع النفايات؟؟!

(٦)

أخبرني الشيخ محمد علي قاسمي من مشايخ أصفهان تابع لإدارة

مؤسسة راه حق (طريق الحق) ومدرس في جامعة طهران عن مصدر موثوق كشف وقتها عن اسمه ولكنني لا أستظهره الآن، بأنّ السيد علي الخامنئي وفي ذات مرة قد زار فيها قم المقدسة، فتوجه إلى بيت الشيخ ليلاً، وجلس أمامه القرفصاء، ولطلب الموعظة والاستزادة خاطب الشيخ في صوت خافت..

مولانا حدّثنا عن تشرفاتكم بالحجة المنتظر "عجل الله فرجه".

بقي الشيخ مطرقاً ساعة وشفتاه تنغمان التسبيح والتقديس كأنما يستلهم من الله الصواب في الإجابة..

بل أغرق ذهنه في بحر المعاني الربّانية ليبتلّ من بلل ذلك البحر، لأنّ الرطوبة مانعة من الاحتراق بنار هذه الأسئلة الموجّهة له من رمز له قيمته عند الناس، فهذا شيء يغري بالتنازل عن قاعدة الصمت وكسر حاجزه التي هي قاعدة دين الشيخ!

وبعد أن استعاد قوّته على إغراءات هذا السؤال، أشهر رأسه وأرسل عينيه ناحية هذا السيد الجليل، وأخذ يعدد مناقب السيد بحر العلوم والمقدّس الأردبيلي، ويذكر حكايات تشرفهما بالإمام لمرات

ومرات ، فلم يحظوا بشيء مما أرادوا وراء سؤالهم اياه..

(٧)

لقد طاش سهم فكري وزلّ رأيي في المعاملة معه فقطعته لمدة تبلغ الأشهر وحجَوتُ به قد نسيَني، ثم استبدّ بي الحنين إليه، وشاقتني الذكريات إلى مطالعة وجهه المشرق، فذهبت إليه ووقفت على باب داره في ساعة من ساعات خروجه، لأنني كرهت نداءه من خلف الباب تأدّباً.. وإذا بصوت مشيه أرق من حفيف الشجر، وبعد أن سحب الباب رأى بأنّ العبد الآبق قد دارت به شردته إليه!!

سلم في ابتسامة تدبب لها خداه ثم سارِ الهوينا وهو يورد الأوراد الخاصة بالخروج من المنزل، ولما انفتل منها وظننت أنه سيطرح من أهميتي التي حظيت بها عنده قبل انقطاعي، ولست المتفرد بها طبعاً.. وإذا به يفرج عن شفتيه ليتحدّث بحكاية أدّبتني فقال:

ـ شيخنا.

ـ نعم.

ـ كان السيد أبو الحسن الأصفهاني "قدس سره" يحب أحد الطلبة

الذين يلازمون مجلسه حبّاً شديداً.

- ما شاء الله.

- نعم، ولكن تدري ما الذي اتفق بعد ذلك؟

- منكم نستفيد.

- فجأة فقد السيد صاحبه المؤانس، وبعد مدّة تقرب من السنة وجده قد عاد إليه يزوره، التفت السيد إليه وقال: يا ولدي لمَ كل هذه الغيبة؟

أنا أحبّكم وإذا ابتعدتم عني سوف لا أعلم بمصيركم، هل أنتم أحياء أم أموات؟ هل أنتم محتاجون فأقضي حاجتكم؟ هل أنتم في بلاء فأواسيكم؟.. هل سمعت؟

- نعم.. نعم.

كانت (نعم) الأولى شهادة بأني قد سمعت.

والثانية شهادة بأنه مربٍّ فاضل ومؤدبٍ كريمٍ ينبّهك على تقصيرك في رقيق الأسلوب!

(٨)

له مع الشّباب خواطر جميلة، وكان يسلك في الرفق بهم عادة ترمي بعروقها في الحياة النبويّة الأصيلة، فقد أقبل عليهم إذ رآهم ودائعاً، وأقبلوا عليه في شكل لافت إذ رأوه عملة صعبة في وسط معمعان المادة في هذا العصر..

فلطالما أمسك بقارب حياتهم المنساب على صفحة الماء لئلّا تستدرجه الرياح وتتوسط به الأعماق القاصية ، فهو يعظهم ويتحدث إليهم حديثاً مصحوباً بالبشاشة والمباسطة.

ومما تنفرج عنه الذاكرة.. إنه إذا خرج من المسجد في طريقه إلى الحرم، أو في طريق عودته إلى بيته تفوّجوا حوله، وقد نسي كلٌّ ما به، بما أقبل عليه من بشاشة الشيخ وفيض محبّته يمشون خلفه وإلى جانبه لا يودّون فراقه، ويجدون في صبحته طمأنينة يحسبونها تخديراً لمواضع الألم في حياتهم!!

فيصلون به إلى باب مسكنه، وهنالك يبرز الشيخ عمق تمسّكه بهم، فإذا أراد أن يودّعهم لا يكتفي بأن يمدّ يد التوديع في الهواء كما

تصنع النجوم السياسية والفنية أمام جماهيرها، بل إنه يفتح الباب ثم يسند منسأته في أول المدخل، ويعود ليقف عند الباب ليودّعهم بترحاب كبير ويمد يده فيهوي عليها الواحد بعد الآخر، يلثمها بينما يقف المنتظرون في الصفوف الخلفية على أطراف أصابعهم وعيونهم تلتقط صور التوديع، فإذا أتى على آخرهم تراجع بخطواته إلى داخل المنزل، وهو مستقبل لهم لا يدير لهم ظهراً حتى يزاوج بين صفحتي الباب!

عصارة السيرة

** إنّ تواضع العالم عمليّة حرث وزرع يرجى حصادها بعد حين..

ففي صعيد التواضع تنمو بذور المحبة، وتلغى حواجز الرهاب العلمي التي قد تهيمن على مشاعر الطلاب، فلا يجرؤون على الكلام والمباحثة مع أساتذتهم الذين لا يعلمون حتى الآن أنهم غير متواضعين؟!

وبالتواضع يستنبع ماء الحياء والخجل من نفوسهم التي قد تكون جافة في تعاملها، فكم إنسان هو أخٌ لنا في الدين والعلم نراه يصرّ

على مبدأ التواري عن الآخرين، أو التجاهل لهم في أول درجة من التكبّر، حسباناً منه أنّ هذا أثبت له في الوجود، وأقوى في نزع الاعتراف بقيمته من الآخرين، ولكن إذا ما قابل عفو التواضع عند من لديه المقدرة على الشموخ، تراه قد بدأ يلاوم في نفسه ويذمها ويشعر بحيائه تجاه ما يلمس في هذا وذاك..

ماذا يعني وصفي السابق ونعتي القائل (في أوّل درجة من درجات التكبر)؟

مما يمضّ بالمشاعر ويلفها بالخوف على مستقبل بعض من بعض من طلاب العلم والفضلاء، أنهم في وعيهم الصامت، وفي وعيهم اللاناطق، يرون عدم البأس في قليل من التكبر، بل ربما دانوا بضرورة ذلك لتيسير الحياة الاجتماعية الأفضل بالنسبة لهم!!

ولكن لا بدّ من أن يُصدم هذا الوعي النائم بأنّ ما كثيره تكبّر فقليله حرام!

كما عليهم أن يجللوا الحقائق التي ذكرناها للتواضع في أفق أنفسهم، التي كان يحلق فيها مثل تلك الأفكار الزائفة، ثم ليستمعوا

قول من جل قوله {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ}[1]

** مـا ذكـرناه في خصـوص التعامـل مـع المؤلفـات والإنتاجـات العلميّة قد لا يكون صحيحاً لنا، ولكنه كان صحيحاً بالقياس للشيخ ومن سبقه أو اتّبعه بإحسان..

حتى لو قلنا إن نشر الفكر واجب..

فقد يقفز من جانبهم من يجيب بأنه: ما من عام إلّا واستثني!

[1] سزرة يونس آية ٣٥

وضعه في تقدير العلماء

رؤية في تقدير العلماء (لا يعرف العالم سوى العالم)

يظلّ الإنسان مهاجماً عنيفاً للعلماء، ولا يرى أيّ مرارة في لحومهم يمضغ منها صباحاً ومساءً ، ولا يكفّ عن قوله فعلوا.. وتركوا..

وهذا ما لا يقتصر على وجوه الناس، بل تجد في طلاب العلم المبتدئين، والخطباء المتمدّدين من يتوهّم وجداً في قلبه على العلماء فيلسع في منطق قذعٍ ينال به كرامتهم وسامق مكانتهم (بغير علم)..

ولكن الكثير من طلبة العلم الذين هذا هو حالهم يظل يدرس ويدرس إلى أن يصبح عالماً، حينها يكون قد تحضّر عقله لفهم العلماء فيكف لسانه ويستحي مما وقع فيه جَنانه من الوهم والخطأ.

فحق لنا أن نقول لا يعرف العلماء إلّا العالم . . ومن آية كونه عالماً أن لا يخوض في العلماء بغير علم.

وبما أنّ لكل منطق ديني منطلقاً، ولكلّ علامة نبويّة أو وَلويّة معلَماً، فإننا بهذا نتوجه إلى حقيقة التأكيد الشرعي على موقعية

العلماء، إذ يقول الحديث الشريف ولا صراحة أصرح منه :

«....لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام...»[1]..

ويأتي في الآخر: «العلماء ورثة الأنبياء»[2].

وفي بعض من حلقات سلسلة التصريحات النبوية الطاهرة: «العلماء أمناء الرسل»[3] إلى ما لا أدري نهايته!!

سيرته مع العلماء "نوّر الله ضريحه"

(١)

كان في مقدمة من يتفجع لفقد العلماء وأساتذة الحوزة العلميّة فلا يتأخر على حضور مجالس الفاتحة المقامة على أرواحهم الطاهرة، سواء الرئيس منها مما يقام في محفل عام كالمسجد الأعظم، أو الأقل منها مما يقام في مسجد محمّدية في الوقت السابق على هدمه وإلحاقه بفناء السيدة الطاهرة المعصومة، وهذا مما حفظ له " أنا ر الله

[1] الكافي ج١ ص٣٨
[2] المصدر السابق ص٣٤
[3] المصدر السابق ص٤٦

مشكاته".

وكيفما دارت الأمور فلا أدل على ما كان يعصف بقلبه من ألم التفجّع لفقدهم من هذه الحفاوة بمعاقد مآتمهم.

(٢)

مما كان يتردد على لسانه " زاد الله في حسناته " وقد شنفني به مراراً: الوصية بقراءة سيرة وقصص العلماء الصلحاء.. وزاد ذات مرة في القول:

إنّ قراءة قصص العلماء لا تقلّ أثراً عن قراءة روايات الأداب ونصوص السير والسلوك، بل هي هي ممثلة، وبطل التمثيل فيها هم العلماء"شرف الله قدرهم"، ومما يزيدنا عقيدة بصواب نظرته هذه أنّ قصص العلماء وتراجمهم كان عملاً يضطلع به علماء كبار أيضاً من مثل: (قصص العلماء) للكمباني ، و(رياض العلماء) للأفندي الأصفهاني، والشيخ المشكيني، وأخيراً أستاذنا السيد محسن الخرازي "رعا الله الحي والميت منهم بشآبيب لطفه ومنّه".

عصارة السيرة:

** يعيش العالم والفقيه لا همّ ولا شغل له سوى التفحّص في آثار أهل البيت (عليهم السلام) فيدرس تراثهم ويتدارسه..

يسمعه، ويعيه، ثم يعيشه..

يقرؤه، ويكتبه، وينشره..

وهكذا يستمرّ على أدوار التسلق إلى مناراتهم العلمية والأخلاقيّة طيلة العمر الذي يتجاوز ببعضهم العقدين والثلاثة والأربعة والخمسة والستة في بعض الحالات، فكان لا بدّ في نهاية المسلسل أن يصلوا إلى مشارف القمة أو أعلاها، وكان لا بدّ أن تنطبع سلائقهم على طريقة أهل البيت في حالة أشبه بالجبر والتسيير!

وإذا كانت عملية غسيل الأدمغة (من أحاديث هذا العصر)، تعتمد على تقنية تكرار المعلومة والعودة بها مرة في إثر أخرى إلى أن تتمكن من وعي وفكر المتلقي..

فلسنا نرجو من أيّ إنسان يمضي عقود العمر في مراجعة ومزاولة تراثهم إلا أن يستجيب وعيه وتستسلم نفسه لطريقتهم "سلام الله

عليهم" إلّا الذين لا يريد الله بهم الهدى؟

وهذا تأويل ما لم يستطع بعض طلاب العلم عليه صبراً في أول مشوارهم، بينما أصبحوا يمارسونه ويتقيّدون به كأدب لهم بعد تخطي العقد والعقدين داخل المعهد العلمي لأهل البيت "عليهم السلام" !!

وضعه مع المستضعفين

رؤية في موقع المستضعفين

(أين يقع المستضعف من قلبك؟)

يستعر الجوى بنار المستضعفين من المسلمين في الأرض..

ويكتوي الفؤاد على صوت أنينهم وتدمع العين وهي تمر على صور بؤسهم وظروفهم الحالكة..

ويضج المؤمن من شديد ما يمسه من الوقوف على تمزق إخوانه وأحبائه المسلمين..

فهذه المعاني من الألم التي تجري بالمشاعر هي الإلهام الصحيح من قوله تعالى: {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}[1]، وهي أصح الرأي في تبيين قوله "صلى الله عليه وآله وسلم" : «من أصبح لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ...»[2].

فليس الفرد المسلم من يبيت ليلته ولا يجد في نفسه للمسلمين

---

[1] سورة الحجرات آية ٢٩

[2] وسائل الشيعة ج١٦ ص٣٣٦

معنى سوى المرأة المسلمة، والرجل المسلم، أو كذا العربي وكذا الأعجمي فقط، بل من المهم أن يجد لهم في قلبه معنى المحتاج، فيشفق عليهم، ومعنى المحاط بأظفار البلايا الناشبة فيتضور ألماً لهم...

وأيضاً ليس معنى (مسلم) محصوراً في أن يكون معلِّقاً سياسياً ومحلّلاً صحفيّاً يجيد الوصف والتنبّؤ للأحداث الإسلاميّة بالكلمة الرهيبة ولا شيء غير هذا..

فإن كل هذه الجوانب وإن كانت تمر ببعض ماء المشاعر إلّا أنها لا تحاكي أمثل الطرق في العناية بأوضاع المستضعفين، بل لا بد من مد الكف ومن إطلاق اللسان اللين، والنزول إليهم من حالق الرفاهية المادية، أو القمة العلمية وهكذا.. إلى أن لا يدخر في النهوض بعثرتهم جهداً.

لاسيما إذا كان المستضعفون من المنتمين إلى أهل البيت"عليهم السلام" الذين أخذوا عهداً على فقهاء مدرستهم أن ينهجوا في أتباعهم نهج الأئمة ذاتهم، فكان أي إمام من أهل البيت"عليهم السلام" إذا قام بالأمر أحاط شيعته بقلبه، وعاش بعيشة أضعفهم،

وأرقّهم حالة، وأجاب ضعيفهم لما يستنجده عليه ، وأنه يعتبر الفقيه والمقرب إليه إذا لم يلتفت إلى أصاغر الشيعة صاحب إساءة له، ومتعامل معه بالإيذاء، ففيما كتب الصادق "عليه السلام" إلى بعض كبار شيعته: «ليعطفنّ ذووا السن منكم والنهى على ذوي الجهل وطلاب الرئاسة أو لتصيبنكم لعنتي أجمعين»[1].

سيرته مع المستضعفين من الشيعة (رفع الله درجته):

(١)

إنّ الحب عند هذا الشيخ الولي تصنعه طبيعته كما تصنع الغدد في الجسم، فكان يعطف بقلبه على شيعة أهل البيت ، ويتمتّع بعضهم بدرجة خاصة من قلبه كلّ بحسب استضعافه سواء كان مادياً، أو حقوقياً، أو حتى علمياً ومعرفياً، فإنّ هذا يطلق عليه استضعافاً كما في القرآن الكريم:

{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

[1] جامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٣٩٤

حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا}[1]

ومن حبه الذي لا يقدر بمساحة ما حظي به أهل البحرين ومدينتي الأحساء والقطيف عنده، وشارةُ ذلك أنك تقف على رأسه فيسألك عن فلان وفلان وحتى فلان الذي لا عهد له بقم إلّا من وراء سنين قد سلفت!!

(٢)

ومن طريف الخواطر أنني وفي الأيام الأولى من التحاقي بدرسه المبارك كنت أتّخذ حاشية المجلس مكاناً لي، وكان إلى جانبي أحد الزملاء الإيرانيين الذي شدّته سمرة بشرتي، فسألني من أي البلاد أنت فدفعت سؤاله بما يكفيه..

هنالك همس في أذني قال لا تجلس هنا.

ظننت أنه يريد كون المكان خاصاً لا يسع لمثلي!!

قلت: إذن أين يكون مكاني يا ترى؟

قال: اجلس بالقرب من الشيخ وعرفه نفسك فإنه يحبكم حباً

[1] سورة النساء آية ٩٨

استثنائياً!

في اليوم التالي بكرت في الحضور وصرت على يمين مجلس الشيخ ولما جاء وجلس وقد دار بوجهه الكريم على الحضور يتفاءل لهم من الله بالمساء الطيب وهو يقول:

مسّاكم الله بالخير.. مساكم الله بالخير..

وقفت عيناه عندي وتركّزتا حتى أغضيت حياءً..

فقال: ما اسمك؟ ومن أي البلاد أنت؟

قلت: اسمي عبد الجليل.. ومنبتي ومنشئي الأحساء..

فقال: به به.. (أي عجباً) وكم سنة لك في قم؟

قلت: ثمان سنوات.

قال: رافعاً حاجبَيه كالمستفهم المستنكر في وقت معاً: ثمان سنوات ولم نتشرف بمعرفتكم؟؟

فأحسست وكأني في لحظة حلم فأفلست من كل شيء إلا من الابتسامة!!

(٣)

ولما أذنت الفرصة الإلهية لي بزيارة المراقد المقدّسة في العراق ذهبت مودّعاً له وملتمساً منه أن يتصدق علي بدعائه، فلما عرف أني قد أجمعت أمري على الذهاب استمهلني جزء الوقت ودخل إلى منار العشق (بيته) الإلهي وما أسرع أن عاد فأقبضني أموالاً واستأمنني في أن أفرقها على ضعاف الشيعة في العراق!!

عصارة السيرة:

** إنّ محبّة قلب الولي إذا تساوى فيها أبناؤه وتلامذته تستطيل على قلوبهم كملك موكل بحفظها عن العداوة وصيانتها عن الحسد الذي يقتل به بعضهم مستقبل بعض ويحرق به بعضهم ماضي بعض ظلماً وجناية..

** إنّ المحبة الصادقة من فيض الولي الأجمع إذا حملته على أن يكتفي من الحياة بنصيب خمص البطون وذبل الشفاه من الشيعة الكرام، فسوف يهون على فقرائهم الواقع البائس إذ حظوا بمساواة

أوليائهم..

وتوحي ذاكرتي بموقف مشاكل لهذا الموقف ففي رحلتي إلى العتبات المقدسة في العراق تهيّأتُ ورفاقي للقاء المرجع الديني السيد علي السيستاني "أكرمه الله بالعمر الطويل" ورأينا كل شيء في بيته على حافة السقوط، فتحايل بعضنا بحيلة ذكية استحثّ فيها السيّد على أن يكشف لنا مقصوده من البقاء في هذا الوضع فكان جواب السيد:

إنني أملك من أموالي الخاصة ما يكفيني أن أقيم داخل قصر من القصور..

إلّا أنني أفكر في الشيعة من أقصى الدنيا إلى أقصاها..

وأرى أيتام آل محمد أحق بالمال والحلال...

وضعه وعقيدته

مع السيد ابن طاووس "أعلى الله منزلته"

رؤية في العرفاء و(سيد عرفاء الشيعة)

أرض العرفاء رحبة القطر بعيدة ما بين المشرقين.. وتكثر على هذه الأرض المتعرجات وأعلامها ما بين من هو مثال الضلال ومن هو مثال الكمال، إذ اختلط فيها الزائف بالصحيح؛ لأنّ من العرفاء من لا قاعدة له في العرفان بل يستخرج طرقه من مختلف أهل الأديان والملل الكفرية التي ليس فيها روح الإسلام، كما يستخرج بعض الشعراء أوزان جديدة من الفارسية والتركية وهي لا تشبه اللغة العربية!!

وبين مسيرة العرفان العريضة تلألأ نجم السيد العمد ابن طاووس "ضاعف الله في حسناته" وخلّف سيرة محمودة تطامن لها جميع علماء الإمامية ، بل زكاها ونماها إلى الوثاقة والسؤدد جمع من علماء الطوائف الإسلامية الباقية..

وصار رمزاً للعرفان الشيعي الإمامي الذي لو طُلب ترشيحٌ لنموذجِ العرفان السلوكي على مذهب أهل البيت "عليهم السلام" لما اختلف عليه اثنان، فهو الذي أسال مهجته وأذاب نفسه الزكية في تقديم

محتوى عرفاني شاملٍ بكل احتياجات المسافرين على متن هذه الرحلة السلوكية، ففاض من محبرته على القرطاس ما يكفي لكل الناس في عمل الأسبوع والمواسم والشهور، لا يسوق فيها إلا لقلائد من صوغ أهل البيت "عليهم السلام" تاركاً الطرق والأنظار المزينة بأحلام فلسفية وأضغاث صوفية اجتثّت من أراضٍ شتى ما لها من قرار!!

فمن مثله ذوقاً فنياً دينياً مهذباً مصقولاً.. كلّا وسبعون كلّا!!

سيرته مع السيد ابن طاووس "طيب الله مرقديهما"

(١)

حدّثني "سقى الله تربته من واصب رحمته" بموقف له مع المحقق السيد أبو القاسم الخوئي "أفسح الله له في جنان الخلد" إذ كان الأخير يرى أنه لم يأتِ في الشيعة عابد كيحيى بن زيد بن علي بن الحسين"عليهما السلام"، فقال الشيخ : إلّا أنني قلت له وكنت مجتمعاً به في النجف : رأيك ليس على صواب فإن السيد ابن طاووس أعبد من يحيى بن زيد..

(٢)

مما سمح به لسانه في مجلس الدرس أنّ جملة من العلماء الأعلام قد ارتقوا في الفقه بكلام أهل البيت "عليهم السلام" فصاروا بمنزلة من ينسج فيها على منوال كلامهم وعلى غرار نسجهم، فالسيد ابن طاووس له من الأدعية المنسوجة ما يصعب على القاصين في الأثر تمييزه وفرزه عن أدعيتهم التي حدثوا بها..

(٣)

كان الفقيد السعيد يحفونا الوصية بكتاب الإقبال صنعة السيد الجليل ابن طاووس، فكان إذا أراد أن يحببني في هذا الكتاب يعطف على سمعي بكلمة لم يسم باسم قائلها ولكن يقول قال بعض العلماء: من ليس لديه الإقبال ليس له على الله إقبال!!

(٤)

وحينما حلّ علينا شهر رمضان المبارك من عام ١٤١٨هـ أو السنة التي قبلها وعند رجوعنا من المسجد نشدته عن السبيل إلى لقائه في هذا الشهر الفضيل وما الذي يفضل أن يسقيني به هو.. قطع مشيه

وثبت واقفاً، وقال: إنّ بيني وبينك في هذا الشهر اتصال عبر كتاب الإقبال للسيد ابن طاووس.

إذن يا بني كتاب الإقبال بيننا.. أرعشت برأسي إشارة إلى قبول المراهنة.

وبعد أن وضعت ليالي وأيام شهر رمضان المبارك حملها بالعيد ذهبت إليه وما أن تعرفني بناظريه حتى فاجأني بعد رد السلام وقال: كيف وجدت كتاب الإقبال يا شيخ؟

وكم قد أحببت التعرف على ما إذا كان عشقه لكتاب الإقبال ذا قاعدة أم هو شيء جذبه إليه طبعه في السير والسلوك؟؟

فصرت أجس خلال كتب الأدعية ودواوين الأذكار فرأيت أنّ كتاب الإقبال هو لؤلؤتهم الروحانية، ومسند رواياتهم الربانية فهدأ ما كان في دخيلتي من شك!

عصارة السيرة:

** تعد برامج الأدعية التي تغطي جميع الأوقات حرثاً للوقت، واستثماراً للعمر، ومرتعاً في حدائق صفات الله سبحانه وعوالم صنعه.

وإن إقبال عبد الله أو أَمَته عليه بالدعاء تصديقٌ من بعد يقين بأنّ الله سبحانه سمّاع عليم..

بل إنّ الإنسان لا يعطى علامة الامتياز ورقم النجاح في مادة الإقبال بالصلاة وحدها فإنها (كثماني حجج موسى) قد أجر عليها..

إنما يدل على رقة الشوق وتهالك الصبوة الدعاء والنافلة التي ترك أمرها إليه فإن أتمّها فمن عنده (كما أتمّ موسى عشراً)!!

وضعه مع التفاسير

رؤية في التفاسير و(لغة التفاسير القرآنية)

تقاطرت التفاسير من مختلف أقطار الفكر البشري حتى قد ارتبط قبول القرآن المجيد بقبولها، وصار الناس لا يتكلون على فهمهم حتى مع أظهر ظواهره..تراهم كلما اشتجر شجار أو احتد خلاف وتحرك البحث استدعوا كتب التفسير، وإذا بعضها جيد يتسع بحجم القرآن في ذهن القارئ، ولكن بعضها سيء رديء قد يختصر حجم القرآن إلى رأس الدبوس؟!

وإذا تعاملت مع مجموع التفاسير جعلت نظرتك إلى القرآن أشبه بالخطوط المتشابكة مبهمة المعاني، فالخلاف والتذبذب حتى في تحليل المفردات وأسباب النزول يفت في قوة صبرك وتحمّلك.

فالتفاسير بحر ملتج يُخشى من ركوبه ، ومخلوقاته المستترة فيه عجيبة لا تأمن أن تجرفك آراء الرجال إلى ما وراء حاجز الغرق، أو أن تنشرك مناشير العقول الفلسفية التي قد أحكمت بناء خلاياها في مادة التفسير..

وهنـاك مـن وضـع شـراكه وحبالـه المنسـوجة بخيـوط الأحاديـث الموضـوعة والمكذوبـة والـتي ليسـت في الفقـه أو العقيـدة أكثـر منهـا في التفسير؟!

عندها إلى من ستطلق صرخاتك؟

وبمن تحكم قبضاتك ليسحبك على متنه ويسير بك إلى مأمنك؟

لم يخلق الله في بحر ضلال الآراء ومحيط البلاء إلا فلك أهل البيت "عليهم السلام" فهم الفلك المشحون، يقول تعالى {فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ }[1] فخذ بتفسيرهم لأنّ القرآن لا بدّ له من قيم وهم قيموا القرآن الكريم، للميثاق الذي بينهم وبينه لا يسلّمانه إلا إلى رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بعد أن يرِدا عليه الحوض..

وعلى أساس من هذه المقدمة نصل إلى نباهة الشيخ الولي "رحمة الله عليه"، حينما كان لا يوصي إلا بالتفاسير المأثورة وليس كلها..

[1] سورة الشعراء:١١٩-١٢٠.

سيرته"كرم الله مثواه" مع التفاسير:

عندما خرجت من بيته أمشي معه التؤدة إلى مدرسه المبارك، وكالعادة وضع مفتاح أفكاره في ثقب ذهني ليفتحه ويبصّره فقال لي:

. ماذا لديك من التفاسير؟

. مجمع البيان يا فضيلة الشيخ.

. وبعد؟

. ميزان الطباطبائي.

. فقط؟

اربدّ لوني.. وقلت يؤسفني أن أقول لك نعم!

. ألم تشترِ تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني؟

. لا.. ولكن قل لي أيها الأستاذ هل ترونه على باقي التفاسير؟

. نظر إليّ بجانب منْ عينه اليمنى وقال: نعم هو معتبر لدينا.

وفي عودة من عوداتي عليه حيث كنت أنا وهو ولا أحد سوانا في المسجد الصغير قبال مسجد فاطمية الكبير الذي يصلي فيه، بشّرته

بأنّي قد ابتعت نسخة من كتاب تفسير البرهان.

قال: بكم استوفيته؟

ـ بستّة آلاف تومان .. (وهي قيمة لا بأس بها آنذاك).

ـ من يشترِ كتاباً بهذه القيمة فلابدّ أن يقرأه.

وبفضل إرشاداته قرأت هذا السفر النفيس بكامله في شهر رمضان المبارك، وكان في أربعة مجلدات من الحجم الرحلي الضخم قبل أن يطبع بالطبعة الحديثة في عشرة مجلدات!!

عصارة السيرة:

** وأنت تقرأ التفسير بالمأثور تشعر وكأنك في محراب العبادة تزهر روحك بالروحانية، وأما باقي التفاسير فأنت تقرؤها قراءة صناعة، وقراءة معارك جدلية، وقد تختصم مع غيرك، والخصومة لا تنبغي بين يدي القرآن الكريم..

** بُيّنت فيها دقائق لا تصل إلى أفهام الناس العادية حيث أنّ

شيئا وفيرا من القرآن أو بعضه من المتشابهات، بل قد قيل أنه لا محكم سوى آيات الأحكام والقصص، وقد يقال لا محكم سوى القصص فقط.. وعليه فإن روايات أهل البيت"عليهم السلام" هي التي ترد المتشابه إلى المحكم.

** إنّ الروايات المفسرة ليست مختصة بذكر المعاني وأسباب النزول، وما سوى ذلك، بل إنّ فيها نكات وقواعد لغوية، وأخرى عقلية محكمة؛ لأنّ أهل البيت كانوا يردون المستفهمين ويقنعونهم بالركون إلى قواعد علميّة ولغوية أدبيّة وعقلية فلسفية مأمونة لا خلط فيها، وإليك أمثلة عشوائية ليست الأجدر بكل تأكيد:

أ)جاء رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال بلغني أنك تقول بأن الروح شيء غير الملائكة؟ فقال له الإمام: أولستَ تقرأ قوله تعالى {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ}[1]:

فبهت الرجل.

أي أنّ الإمام (عليه السلام) أحاله على قانون أدبي وهو أنّ

---

[1] كتاب الغارات:١٨٣.

العطف يقتضي المغايرة فعطف الروح على الملائكة يعني أنها ليست هو وليس هو هي..

ب) ويدخل زرارة على الباقر (عليه السلام) فيقول: ألا تخبرني من أين علمت أنّ المسح ببعض الرأس؟

فقال: حين قال (برؤوسكم) إن المسح ببعض الرأس لمكان الباء..[1]

أي لو كان المعني تمام الرأس لقال: وامسحوا رؤوسكم، ولم يقل برؤوسكم؟

ج) يحنو الإمام الباقر (عليه السلام) بالتفاتة على بعض شيعته الذين يتعرض لهم إخوانهم السنة فدلهم على ما به يقطعونهم في المحاجة ويبكتونهم به قال: "يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنا أنزلناه تفلحوا"[2]

فالفعل في قوله تعالى {تنزّل الملائكة} يفيد الاستمرار فعلى من تتنزل بعد الرسولِ(صلى الله عليه وآله وسلم) ؟؟

---

[1] وسائل الشيعة ج٣ ص٣٦٤

[2] شرح أصول الكافي ج٦ ص١٢

وضعه مع رياضة النفس

رؤية في المروّضين (طلبوا منهم الحق فأضلوهم)؟!

في الخلائق من يقول صدّقوني إن علم التوحيد سلبني الله الذي رأيته في بديع خلقه، والذي أحببته دونما مساعدة من أحد، فمن يرده عليّ أو يردني إليه؟!

وفيهم من سكن إلى معلم من شيوخ الرياضة ليهذب خطيئة نفسه ويسكّن انفعالاته، فحشا دماغه بأفعال وتروك، وهو لا يدري كم من الأفعال تلك التي حُمّل إياها من الخبائث، وكم في التروك التي زُجرَ عنها من الطيبات؟!

ذاك توحيد ولّدته الأفكار الهاوية التي هوت عن بيّنة.

وهذه رياضة ، بدعيّة خرجت من رأس شيوخ في قلوبهم لعباد الله الطامعين شيطان يتربّص بهم المواعيد، مع هؤلاء المعاونين؟!

يقول سيد الموحدين: «العلم نقطة كثرها الجاهلون»[1].

[1] مستدرك نهج البلاغة. هادي كاشف الغطاء:١٦٨

إنما سبب ضلال هؤلاء القاصدين الذين أصبحوا فيما بعد تائهين مخفقين، هم أولئك الذين أخذوا بناصية علم التوحيد وأمسكوا بقياد سير السلوك فعقّدوه وأزّموه بفرضيات ما أنزل الله بها من علم ولا سلطان.

لقد بنوا بكثير من نظرياتهم حصوناً لكن ليس لصون التوحيد بل لأنفسهم من أجل أن يبقوا مشرفين على الناس من قبب معوّجة بالعاج يحفظن فيها رتبهم، ويبقون محط الأنظار تدنو إليهم أبصار جميع الناس.

كما قد صنع بعض شيوخ السير والسلوك الفرضيات وأغمض الحقائق وسترها خلف المصطلحات والدعاوى المغطاة بثوب الدليل والبرهان، لكي يمط المسافة ويطيلها على القاصدين والسائرين، فيصدق المسكين من الناس بأنّ أمامه سياحة طويلة في ميدان العبادة، فيستصعبه ويعطي التنازل عنه من أول الطريق؟!

لكن ما عساهم يريدون بذلك؟

ولما كل هذا الإرباك؟

لا لشيء إلّا كراهة أن يلحق بهم أحد دون أن يذوق مرارة التلمُّذ

لهم؟!

وهناك مشاهد من هذه الحقيقة لم يكن ممثلوها من أبناء طائفتنا فأكثرهم من المتصوّفة، ومن يوجد بيننا فعلى وجه التأثر والاغترار بهم فقط..

ولكن يبالغ البعض ليلصق هذه اللّصيقة بأيّ من أعلام العرفان ومن بقايا ذاكرتي رجل سيد فارسي الأصل تتلمذت عليه في كتاب تشريح الأفلاك للشيخ البهائي "رفع الله مقامه" فكان كلما ذكر الجوادي الآملي أو أستاذه الشيخ بهجت سعى لأن يلين نظرتنا الصلبة لهما بشبه هذه التهم!!

والحق أنني ثابرت على أن أجد سقطة على الشيخ فيما حُشيَ به ذهني تجاهه، لكنني لم ألق شيئاً وعلمت أنني قد وقعت في مصيدة الهواجس.. وليس أبيَن في خلاف رأي من سمعت من سيرة الشيخ نفسه "رحمه الله" .. وإليكموها..

سيرته "أعلى الله درجته" مع رياضة النفس:

(١)

من الطبيعي أن يتكرر على هذا الولي من أولياء الله في أرضه السؤال عن طريقة ترويض النفس وتسييسها وإحكام القبضة عليها..

وكنت ممن قصده بهذا السؤال أيضاً..

ـ مولانا ما هو الطريق المهيع (السريع) لكبح جماح النفس وليّ عنقها؟

ـ عليكم بكتاب جهاد النفس من موسوعة وسائل الشيعة..

ـ وماذا عن شيوخ الرياضة الذين يمنحون الإجازة على العمل أو يصدون عنه؟

ـ لا حاجة إلى ذلك.. كتاب جهاد النفس من أحاديث معادن العصمة وينابيع الحكمة وأهل بيت الطهارة "عليهم السلام" يكفي للسير والسلوك!

(٢)

كما أنّ الشيخ العالم العارف كان يؤثر في نفوس طلابه ويشحذ هممهم ويشدّ عزائمهم بأسلوب عجيب، فإذا أراد أن يرفع طموحنا للوصول إلى عالم الملكوت يدعونا إلى الصداقة بيننا وبين العرفاء العظماء..

جئت إليه يوماً أنتظر إشراقته بفارغ التحمل، وبعد لحظات انزلق إلى خارج المنزل، وسار خطوات يباركها لسانه الرطب بذكر الله "عزّ وجل" وبعد أن تمّ قسطه المعتاد ثبّت عينيه في وجهي وقال:

. من أيّ مكان جئت الآن؟

. من بيتنا في محلة (دور شهر)؟

. تبدو محلتكم بعيدة عنّا؟

. أجل يا مولاي..

. أنت تأتيني دون تأخير رغم أنّ محلّتكم بعيدة؟

. آآآ أنا آتيكم في السيارة.

. في السيارة؟

. نعم، نعم.

. أما طويتَ الأرض؟!!!

هنا انشلّ لساني وغشاني من المفاجأة ما غشاني.. التقطت أنفاسي وتغلبت على حيرتي فقلت:

. لو كنتُ أطوي الأرض لقصدت بيت الله في كل موسم!

ـ أتعلم بأنّ أستاذنا السيد علي القاضي كان يدرّس صباحاً في النجف وعصراً يشاهده بعض الناس في مشهد المقدسة؟؟

إنه كانت تطوى له الأرض؟

. أجل فهمت يا مولاي!

دقق كيف لم يذكر نفسه، وإنما مثّل بأستاذه الفذ السيد علي القاضي "آمنه الله يوم الفزع الأكبر".

عصارة السيرة:

** لا يصحّ أن يبقى الإنسان في جانب السير والسلوك بلا عقيدة تحفظ توازنه لئلا يتخبط، وشيخنا الفذ يرى أن جميع ما تتكوّن منه عقيدة السالك موجود ضمن باب جهاد النفس من موسوعة وسائل الشيعة، وهذا ليس رأياً له وحده فقد شاركه عملياً الشيخ الكبير المامقاني الذي سار على وفق خارطة جهاد النفس من كتاب الوسائل في كتابه القيّم مرآة الكمال.

** وقد جاء بدور المكمل لفكرة الشيخ محمد تقي بهجت والعمل على تحقيق ما كان يريد لها من نجاح ثلة من أبرز العلماء وأعيان الفضلاء، كالأستاذ الفقيه السيد محسن الخرازي "مدّ الله ظله" الذي يلقي من هذا الكتاب دروساً في كل يوم أربعاء، ثم لا زالت فكرة الشيخ مع كتاب جهاد النفس تمتد وتمتد حتى أنّ بعضاً ممن تأثر بدعوته المباركة قد استلّ هذا الجزء من موسوعة الوسائل وقدّمه للقراء في تحقيق رائق..

** تسبيل مادة السّير والسلوك لكل القاصدين، وإبطال التحبيس

غير الشرعي الذي طالما جعل هذه المادة وقفاً على بعض العرفاء الخاصين.. الذين قاموا بلحم البوابات وتشبيكها في ناشئ الطريق ووسطه وأقصى حدوده فبسط الشيخ الملاك ما تكلفوا هم، وحلّ ما ربطوا ربطاً أوجب في الناس من يُفضّل أن تفوته مجاني طريق التأله والربانية في الآخرة والأولى، كراهة أن تبلغ منه تلك التكلفات التي ابتدعوها المشقة القصوى!

** لقد دعا إلى مرجعيّة الأحاديث في حياة السالك؛ لأنها تزيل عن السالك كل رهقٍ شديد يخاف أن يصيبه، وتجنبه كل معبر زلق يُخشى أن يخون بقدمه، وأيضا فإنها تجعله أقدر في مناهضة المشاكل الروحية ومواثبتها..

ونحن وإن لم نستطع أن نحضر على خوانِها وأطعِمتها المنوّقة ولكن إن فاتنا من ولائمها المقامة في الكتب المختصة، فلا يفتنا هنا من حبيبات نثارها وسنجمعها من هاهنا وهاهنا:

أ) يتأرجح بعض السالكين بين من يتّكل على الناس في كلّ حوائجه ويستأكلهم فيكون كالسائمة من المواشي التي ترى أنّ الأصل

في كل مرعى أنه مباح إلا ما هُشَ عنه بالعصا؟ وبين من يترفع بنفسه عن جميع عباد الله عز وجلّ..

عن جعفر بن محمد "عليهما السلام" قال كان رجل جالسا عند أبي فقال اللهم أغننا عن جميع خلقك ، فقال له أبي لا تقل هكذا ولكن قل اللهم أغننا عن شرار خلقك، فان المؤمن لا يستغنى عن أخيه المؤمن[1] .

ب) في السير والسلوك طباع لا تتأسس على العقل والدليل فيصبح أغبى من الغراب يخاف الله فيما طاب؟

"" شكا العلاء بن زياد الحارثي أخاه عاصماً إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

فقال الإمام: وما له؟

قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا.

قال الإمام(عليه السلام) : عليّ به، فلما جاء قال له: يا عديّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك أترى الله أحلّ

---

[1] جامع احاديث الشيعة ج١٥ ص٣٣٦

لـك مـن الطيبـات وهـو يكـره أن تأخـذها؟ أنـت أهـون علـى الله مـن ذلك..."".

وهذا ما ربما يولِّد في وعي القارئ المكرّم تعارضاً بين ما جاء في هذه الرواية وما بجّلنا به الشيخ سابقاً من صبره على شظف المعيشة، ولحل غائلة هذا التعارض نواصل الرواية..

قال عاصم لعلي (عليه السلام): هـذا أنت في خشونة ملبسك، وجشوبة مأكلك؟

قال له الإمام (عليه السلام) ويحك لستُ كأنت.. إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بفقير فقره""[1]!!

ج) وفي السائرين الكثير ممن أدرك الحقيقة وأضاع الطريقة بتحميل نفسه في اليوم حمولة الأسبوع ، وفي الأسبوع حمولة الشهر من العمل العبادي وقد جاءت الأحاديث بمداواة هذه الأفكار فعن طبيب النفوس"صلى الله عليه وآله وسلم": «إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه

[1]نهج البلاغة ج٢ ص١٨٨

برفق، ولا تكرّهوا عبادة الله إلى عباد الله ، فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى»[1].

وعند مفارقة هذه النقطة علينا أن نتذكر أنّ هذا الولي لم يربطنا في باب السير والسلوك بالنصوص والمأثورات إلا من أجل أن نميز بين الصميم والدخيل، وأن نفرق بين الغث والثمين، وأن نترك تلك البدع والطرق التي باتباعها نزيد عطشاً على عطش!!

---

[1] وسائل الشيعة ج١ ص١١٠

وضعه في لحظات الغرق مع الله سبحانه:

رؤية في الذكر

ذكر الله "تقدّس اسمه" لا فوق لمثله في علاج قلوب المؤمنين: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[1]

فإنّ الذكر حيلة من يرغب في تحييد ما لا يمكن تحييده من مشاكل الحياة..

وإنه قادر على إيراد الراحة ومشاعر الصداقة إلى القلب مع الجميع..

وهكذا نقول: لا يملأ أحدنا قلبه إلّا بما يملأ به لسانه وسمعه!!

الذكر يذكّي الحب لله "عزّ وجل" لأنك تمارس معه الطلب في دلال وعذوبة، ولأنك تفصح عن كل ما يعتمل في نفسك معه "تعالى شأنه" فيذهب الاختناق من صدرك..

وتتخلّص بالذكر من رذاذ نار الهموم التي لن يفتدي الإنسان منها

---

[1] سورة الرعد ص٢٨

. ولو ودّ ذلك . ببنيه وصاحبته وأخيه وحتى فصيلته التي تؤويه!!

لأنه سيبقى في دخيلة ذاتك ما تتحرج من الإفضاء به حتى مع هؤلاء حاشا الله سبحانه!!

اختبر إدراكك بمثال:

نعرف ممن يقيم لبعض ساعات في ضيافة غيره كيف سيندفع في مقابلة إقرائه بالكرم بإلقاء كلمات الشكر ومنمقات الثناء على سمع المستضيف بما قد يكن فوق ما تستوجبه هذه الضيافة، ولكننا نعده قليلاً في عبارات العرفان بالجميل.. بل ربما تحكّم كرم المضيف في كلامنا ونظراتنا حتى رسمت لها جمالاً متكلفاً بين يدي كرمه، وهذا ما يسمى بخجل الضيافة، فلا يزول منّا الخجل حتى نزول من مجلسه!

ولكن متى فرطنا من ضيافة الله سبحانه، ومتى انفصلنا عن كرمه حتى يزول منا الخجل أمامه!!

سيرته "فسح الله عن جنبيه" مع الذكر:

هذه ليست إلّا لقطات تمثل خيوط أشعة مرسلة مما سبق وإن تحدثنا عنه في علاقته بالسيد ابن طاووس "فسح الله له في روضته"..

(١)

طالما حملتني أقدام الشوق إلى الوقوف على بابه، وانتظار خروجه في مسيره، فإذا بدى حسيس نعليه من وراء الباب، انتظمت خفقات قلبي مع خفقات نعلَيه، فيخرج فيكون لابتسامته ضوء يسبق صوت كلمات التحيّة التي يلقيها، ثم يعود بنفسه إلى ما كانت عليه من ذكر الله سبحانه، فلا يتكلم ولا يجيب حتى يفرغ من ورده الذي اعتاد على قراءته في ساعة الخروج من البيت، وكان يقرن بين وردين إلى ثلاثة.

(٢)

لم أرَ في أيامي من يستعمل ناحيتين من فكره استعمالاً واحداً، ولا من يتحدث إلى جهتين في وقت معا غير هذا الشيخ العظيم..

فبينا هو يلقي مادة درسه في الفقه والأصول، ويستعرض لنا من رياضته العقلية مع آراء العلماء وبنات أفكارهم..

وبينا هو يملأ فجاج المسجد برخامة صوته المؤثرة.. تراه فجأة قد لاذ بصمت عميق، وغرق في سبح طويل مع الله سبحانه، كأنما لمسته لمسة عُلوية، أو كأنه انصرف يستمع إلى مداخلة ملائكية يسددون فيها قوله بالصواب والحكمة!! ثم يعود ليجري بالكلام من حيث توقف..

لا يرى بأساً في التحول من دندنة العلم إلى همهمة الذكر!!

(٣)

ما أكثر المستهامين به الذين متى أصابهم المرض، أو ضغطتهم الحاجة، أو لف لفيف الحزن بقلوبهم فزعوا إليه يطلبون منه اقتراحاً وعلاجاً، وكان لا يقترح سوى الذكر، وعجيبة العجائب في الشيخ أنه ينفق على كل ذي معضلة ذكراً يناسبه، وعادة ما تكون الأذكار التي يمدها إلى أيدي الناس صغيرةً خفيفةَ المؤنة على الحفظ، وكأنه قد مدّ لك المفتاح الصغير الذي ضاع منك لمشكلتك!

(٤)

دعيت إلى حفلة الشاي في منزل بعض الأصحاب الأخلاء،

وكانت المناسبة حضور شخص عاصر التجارة فعصرها ولم تعصره..

وصار يتحدث عن حظوظ الدنيا ساخراً من وضع طلبة العلم، وأن الذي جعلهم مقيمين في سجون الفقر، هو سوء رأيهم في الدنيا.

فصرت أرى أنني أعيش في حفرة الواقع الحالك، وأنّ هذا الرجل قد مدّ لي بحبل الأمل.. حانت مني لفتة إلى الساعة فرأيتها تشير إلى الثانية عشر ظهراً، سحبت نفسي التي لا تريد مفارقة هذا المارد الذي شخص لي فجأة، وأريد أن أسمعه عريضة أمنياتي علّه يقول لي شبيك لبّيك !!

وفي موعد الدرس ذهبت إلى الشيخ أنتظره بجنب الباب على رسم العادة، وإذا به يخرج ويفاجئني بكلام على غير ما انتظارٍ وعلى غير ما توقّعٍ حدج فيّ بعينيه..

. قال يا شيخ؟

. أجبته ملبياً.

. قال: أتعلم متى يظفر الصياد بالطير؟

. الله ورسله أعلم وأنتم معاشر الفقهاء أمناء الرسل..

. إذا انقطع عن ذكر الله، ورأى أنه يشرف من فوق غصن الشجرة على سعة الدنيا لا على سعة رحمة الله سبحانه؟!

- يا ويلي..

أصبحت حامياً للبكاء.. لكن منعني الخجل!

(٥)

وفي ذات يوم ألقى عليّ بسؤال اختبار وقال:

. ورد دعاء عرفة للإمام الحسين "عليه السلام" في ظهر ذلك اليوم فهل يعني هذا أن لا نقرأه في ما سواه من الأيام؟

ـ كلا يا مولانا.. فإنّ وروده في ذلك اليوم على وجه الأفضلية لا على وجه الاختصاص.

ـ أحسنت.. إذن لا تتخلى عن قراءة هذا الدعاء في عموم أيامك!

(٦)

التفت إليّ يوماً يحدّثني على هامش الدرس، وكان قد أراد أن يبلغ

بي الحرص التام على السجود لله عزّ وجلّ وبيان أهمية هذه العبادة فقال: ادعُ لي في السجود مرة، ودع الدعاء لي ألف مرة.

عصارة السيرة:

**واصِلْ الذكر لله "عزّ وجلّ" يصل بك الذكرُ.. وستكون عند الله تعالى أنت الأوصل؛ لأنّ السبب أقوى من المباشر!

لكن.. إلى ما سينتهي بنا الذكر؟

أنت تسأل لأنك تجهل!

وتجهل لأنك لم تعمل!

فاعمل وستستشف الحقيقة، وأن:

١ ـ الذكر هو الرغبة الحامية في التوحيد لله "عزّ شأنه" وصونها من أي فتور.

٢ ـ والأذكار هي عهد، وهي ميثاق يأخذ طابع أنشودة السلام للملك الحق المبين مع طليعة كل يوم ومع آخر ساعة منه.

٣ ـ والذكر هو الفتيلة التي يشعلها أولياء الله تعالى لتنير أفق لياليهم؛ لأنّ القلب فوق قانون الدنيا التي لا خيار لها في طول سبات الليل أو إبصار النهار أو تعادلهما في الزمن حسب البقعة الجغرافية والمنزلة الفصلية من السنة، لكن قلوب الأولياء يجب أن يكون إبصارها أمدّ وأطول من سباتها، ويعلوها قلوب الأنبياء فإنهم تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم!!

وضعه مع أهل البيت"عليهم السلام"

رؤية في دفء محبة أهل البيت"عليهم السلام"

(من أراد دفء النار كلف جمع الحطب)!

لو لم نستوصَ بالصلاة في منعطفات الليل والنهار..

ولو لم يعهد إلينا بالحج إلى البيت العتيق من كل فج عميق ومن كل أفق من آفاق المعمورة..

ولو لم نؤمر بالانفطام عن طيباتها في الشهر المشهود..

لانمحى الميثاق الذي أخذ من بني آدم من ظهورهم، وكل ما أشهدوا عليه من الرّبوبية، ولأصبح أمرُ الله "عز وجل" على هامش اهتمامات الموحدين دعك عمّن ظلم بكفره وتولى إلى حزبه!

فالقول لا يرسو إلّا بمرساة العمل..

والقول بلا عمل كالرمي بلا وتر..

ومرة أخرى:

من أراد النار كلف جمع الحطب، فالإنسان إذا هبط عليه زمهرير

الشتاء تكلف للنار بالبحث عن وقودها من الألواح والحطب في المفازات والقفار، لا لأنها سيدة عليه يجب أن يطيعها فيما تحمّله به.. ولكن ليتسنى له الالتصاق بها، فالنار المخيفة تصبح المعشوقة الأخيلية في أيام الصقيع..

فالفرائض والواجبات سماها الوحي تكليفاً لحاجة لا يعلمها إلا الله "تبارك اسمه".

بينما يجب أن نعملها بقصد الالتصاق بالله الكريم لا بقصد أنها تكليفاً ملزِماً.

ولذا لم يكتفِ المحبون بما فُرض، بل شاقهم الحب إلى الاستزادة فأتوا بالنوافل ليُرْووا هيامَهم، بينما اكتفى بالعمل المجمل من لم تستهام نفوسهم بالله العظيم.

قل لي هنا وبعد أن استوسعت في الكلام..

فهذا وصفٌ ، ماذا تريد منه؟

وهذا نثرٌ ، ماذا تخبء لنا وراءه؟

وهذا بذرٌ ، ماذا سنجني بعده؟

لي أن أتطوع بإجابة هذه الأسئلة فأقول..

قد سمي الأجر لرسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" على الرسالة وكشف عن الثمن وهو مودة ذوي القربى ومحبّتهم، بيد أنه لا يكفي لنار الحب، ودفء المودة القول وحده بغير تحرك في مفازات الروح وقمشِ الحطب من أطرافها، فكان علينا أن نفسح لأنفسنا بنهزات مع كل ذكرى نفرغ فيها حبنا، وننصَبّ عليهم فيها بفكرنا.

حفاظاً على ذكرهم أن لا ينمحي ويذهب أيدي سبأ..

ولئلا نظلمهم بإغفال سيرتهم شروى ظلم بعض المسلمين لهم، حيث لا يدرون من حال البتول وزوجها وسبطيها عشر معشار ما يدرونه من حال أئمة الفقه الأربعة الذين أقبلوا على الدنيا بُعيد بعدِهم؟!

حيث يذكر هؤلاء على المنارات وتحت القبب أكثر من ذكر آل الرسول "صلى الله عليه واله وسلم".

لعلّهم لا يقصدون!!

سيرة الشيخ "ألحقه الله بأوليائه" مع أهل البيت"عليهم السلام" :

(١)

لقد نذر ساعة من ضحى يوم الجمعة للانضمام إلى مجلس العزاء الذي يعقد في مسجد فاطمية لمد صوت المظلوميّة على أهل البيت "عليهم السلام"، وهو طريقة المقاومة الوحيدة في وجه كل من يحرّم نقد التاريخ يريد أن يجعل الظالم والمظلوم واحداً فيستريح؟ هؤلاء هم من فشلت كل السبل في إقناعهم بضرورة البحث والتحقيق الجديد للتاريخ وعدم الثقة المطلقة بالماضي، وكم هو مؤسف إن لم يبقَ لنا سبيل سوى هذه المجالس!

(٢)

تعدّ حسينية الزهراء للجالية السعودية سابقاً لافتة من اللوافت العلمية والدينية الكثيرة في ذلك الزقاق الملتوي البعيد ما بين النقطتين حيث لا تحملك رجلاك من نقطة شماله (جهار مردان) إلى جنوبه (يخجال قاضي) إلّا بعد قطع مسافة عشر دقائق للراجل غير الراكب..

وحيث أنّه المعبر اليومي للمربي الفاضل "أكرم الله مثواه" فقد اهتمّ بها وأبدى مشاعره المزعوجة من عدم المثابرة على تحريك أجوائها، وهوى على مسامع الطلبة يذكرهم برؤية رآها في خصوص هذه البقعة تعبّر ـ وهو المعبر الصادق ـ عن التصاق هذه الحسينية بالماورائي!!

وقد كان يحضر بعض المجالس التي تعقد فيها وإن كانت حالة نادرة!

(٣)

وهكذا من يريد أن يتحقق من قوة ومتانة علاقة الشيخ العارف بأهل البيت "عليهم السلام" فليكتشف عادته اليومية في زيارة كريمة أهل البيت السيدة الطاهرة المعصومة "سلام الله عليها" فقد كانت افتتاحية برنامجه الصباحي..

يبرز إليها من مسجده بعد أداء الفرض في هالة من الشباب المخلص يتخطى بمنسأته كأنه سليمان تدور به أعوانه.. وإذا أراد أن يقطع الشارع المزدوج توقف تيار العربات احتراماً وإجلالاً للشيخ، الأمر الذي لا يجري لأحد، وفي هذا الشارع بالخصوص لكنهم أفرجوا

له الزحام ليستلم عضادة بابها..

كم ذا رغبت في أن يحيا الفرزدق الذي استخفّ شعوره لِما رأى من انفراج الزحام للإمام علي بن الحسين "عليه السلام" في استلام الحجر، ليته رجع في هذا اليوم ليرى.!

أعلم بأنه ستدور الخواطر برأسه ويتبسّم من عجيب الصدف وتلاقي الأحداث!

عصارة السيرة:

** إنّ ثنايا حياة أهل البيت "عليهم السلام" هي التي بتخيلها وبسماعها يسلو من أضجرته همومُه عن نفسه..

** وأنّهم المدوين إلى الأبد بالخطيئة التي حلّتْ بقومهم على الرغم من تهافت الزمن، وهذا تجسيد للقرآن الكريم الذي جاء على ذكر أولياء بكوا على خطيئة قومهم مدى العمر ولو عمّروا لما انفك عزمهم على أن يبكوهم إلى الأبد الأبيد وكأنهم طريدي أعمال قومهم السيئة..

ما بالك وقد شكوا منها في نشأتهم الأخرى:{ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ

قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ}[1]!!

** ثم أين المهرب من الندم على ما فاتنا من أهل البيت "عليهم السلام" بفعل الجور والحصار عليهم، وهل الندم يعرف النوم في القلب؟!

إنّ دموع الندم لن تصبح رقواء جافة أبداً!!

** وأنّ الرضا بعمل القوم شركة معهم، والصمت لا يفصح إن كان عن رضا أو عن غير رضا فلا بدّ من كسر طوقه بالدمعة والصرخة "وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا"[2]

---

[1] سوة يس آيه ٢٦
[2] كامل الزيارات ص١٢٦

وضعه مع الطائفية

رؤية في الطائفية (تمذهب من دون فتن)

تتّخذ الطائفيّة لنفسها ألف وجه، وترتدي ألف رداء، وتتشكل لفريستها (من جنس الضعفاء) ألف شكل.. وهنالك من تحت الأرض من يرسل بمائها الملوث بالوباء..

وهنالك من وراء الأفق من يرسل رياحها اللواقح والجوائح..

تلقح الفتنة وتجتاح الهدوء بين أبناء البيت الوطني أو اللغوي أو القومي الواحد!

والمدبر الطائفي البغيض هو الذي يمسك بجُمعِ يده على مقبض العدسة المحدبة فيعبث في حجم كلمة الطائفية يضخمها ويضئلها متى ما يشتهي؟

ويشتدّ سعير الطائفية حينما تضخ مياهها المجرثمة من قنوات السمع والصورة العربية التي استحلّت راحة الناس وانصرافهم بعد أن رضي كل شيعي وسني بحصته من الإرث التاريخي والعقدي، فاهتم

بحماية حصّته دون أن يجور على حصة غيره..

والحق أنّ قسماً من هذه القنوات لم يؤسَّس على ذلك، لكن لما خسرت جميع علامات النجاح الإعلامي لسبب وآخر أرادت أن تقوم في وجه الدهر الذي همّ أن يضعها في إرشيفه الخاص بالدوارس والغابرات!!

فمن الذي سيعيرها ما لها من العناية؟

لا أحد...

إلا أن تفتح لها باباً على نافذة أسماع الناس وعقولهم، فأدلفت إليهم ببرامج لها صلة بالأجناس الطائفية المقيتة!

سيرة الشيخ "أسبغ الله عليه من نعيم الآخرة" مع الطائفية:

جَنح فكر الشيخ العظيم ومال به الرأي إلى أن المذهب الشيعي يمكن أن يرفل بالأمان، وتكف عنه عوادي الزمان، من دون الانفتاح على الفتن والملاحاة والملاغاة، فيما يسمى بالحوار الطائفي!!

لأنّ الكثير من الحوارات ـ دون أن نرسل حكماً شاملاً ـ محاولات لتغيير جلد الطائفية مع بقاء النفس، وهي مركز الأحقاد والشرور التي إن بقيت في الأعماق لم ينفعنا عمليات التجميل على السطح!

ففي تقديره يستطيع المذهب من عبور مرمى النيران بخفارتين:

١ . خفارة التقية ، فإنها السر وراء قدرة المذهب على السيرورة والخلود والبقاء طيلة المئين من السنين.. فإنها دين الأئمة "عليهم السلام".

وفي ذات مرة جاء في محضر الدرس ومعبد العلم بمعلومة ذكرها بين الأقواس أي خارج مسار البحث وهي:

إنّ الشيعة الأقحاح كانوا أربعة أركان واليوم ناف عديدهم على أربعة مئين من الملايين من البشر.. إنّ هذا حال يعزى إلى طبيعة التقية، فهي سرٌ توارى بالحجاب إلا على ذوي الألباب..

٢- حينما همت الفتنة أن تطير وهي تحمل الشر على أجنحة النسر الجارح، وعبر بعض القنوات الفضائية أستشير من قبل الطرف الشيعي في الحوار المتلفز.. فقال:

. قصوا جناح الفتنة.

. لا نملك آلة حادة لقصّها!

. أقصد؛ قصوها بالمباهلة.

. المباهلة؟؟

. نعم..

. أيعني هذا أنك تتمنى موتهم؟

- لا... إنما أراد الرسول"صلى الله عليه وآله وسلم" أن يفر أهل نجران لا أن يموتوا..

وإليك أيها القارئ من سوانح الخاطر:

قد برز الشيخ الكبير جعفر كاشف الغطاء"رفع الله درجته" إلى بعض المهلوسة في الدين بعد أن تعاصت السبل على هدايتهم فمد كف المباهلة في معسكر من أصحابه، قِبال أئمة الضلال الذين جاءوا أيضاً في معسكر حاشد، ولما رأوا صدق الشيخ كاشف الغطاء فروا وما

قرّوا!!![1]

لنعود إلى قول الشيخ العارف بربّه:

ـ هيا أصروا على المباهلة فإنّ في عدم جرأتهم عليها دليل يكفي للملايين المشاهدين في أنّ الحق معكم، وحينها ستعلمون أنكم قد ابتليتم بهم بلاءً سعيداً!!

فلقّنهم الصيغة وذهب بها بعض أبناء الشيخ ممن حضر ومثل هناك.. ورأينا الواقع كأنما كتب بإملاء الشيخ وأنبوأته، لم يغادر كلمة واحدة!!

نعم.. انقطعوا عن خدعتهم فترة من الزمن ثم ماذا؟

لقد "عادت لعترها لميس"!!

عصارة السيرة:

** إنّ هذه المحاكاة المذهبية كاحتكاك الأجرب بالخشب، تُسيل

[1] العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية ص٩١ – الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

الدم ولا تذهب بالعي؟!

ليست الطائفية سوى شر قد يبطن...

يجب أن تحيط عقول المسلمين خبراً بأن رقصة الطائفية ليست تطرب..

هي رقصة نهايتها السكر، وهو مفتاح كل شر وبلاء!!

العاقل من حارب الفتنة بقرار السلام..


وضعه مع الألقاب والتسميات:

رؤية في الألقاب والتسميات

لم يسلم العلماء من عادية العواطف المشبوبة، فاعتنق معهم الناس أفكاراً يتوهّمون أنهم مفطورون عليها..

وتدرجوا في لغة حسبوا أنها اللسان منهم، وبشكل تلحظ الزيادة والتطور فيه من عصر لآخر..

فجاءوا بألفاظ ومسمّيات ليس لكلماتها أول ولا انتهاء، والخبر اليقين من ذلك يأتيك بمطالعة مقدمة الناشرين والنساخ للكتب الصفراء حيث تُنتَهز الصفحة الأولى لألقابٍ ونعوتٍ تحلق بهذا المصنف العالم أو ذاك أجوازَ الفضاء!!

فصار الأتباع يستلينون بعضَ الألقاب التي تبدوا إلى الإمام المعصوم أقرب منها إلى الفقيه العالم، ويتساهلون مع ما جدّ منها حتى شاع في استخدامها الهزل ككلمة علامة التي استحالت إلى أداة رفع وضم مع كل طالب علم، فهم قد علموا بأنّ بقاء اسم الطالب ساكناً يعني العدم من الحركة، والعدم بخس.. ولكن لم يعرفوا التدرج فارتفعوا به

إلى أثقل الحركات وزناً عند النطق!!

كل ذلك لأجل اجتذاب الأنظار، وإغراء الألباب، وليست من رغبة العلماء الكرماء أنفسهم حاشاهم، بل هي شهوة لم تنكسر وإهاجات عاطفية استهامت بقلوب مريديهم.

سيرة الشيخ "أحلّه الله دار الكرامة" مع الأوسمة:

في ذات جمعة من الجمعات احتدّ بي العزمُ إلى زيارة الشيخ في مسجد فاطمية، فحملت نفسي أستعجلُ الخطى شوقاً إلى رؤيته،وبعد أن توسطت المسجد وأردت أن أجثو بين الناس أبى لطفه إلّا أن أكون إلى جانبه فرفع يده عالياً وفتح ذراعه ناحيتي كالذي يلقي بحبله على صيد ثم عطفه بقوة إلى يمينه، فسحبني بتلك الحركة ومشيت لا أجد في نفسي ذرّة من الإرادة..

وكان من فرط تواضعه يقسط النظرات، والحديث بيني وبين أحد السادة المعممين على شماله وفيما قال:

إنّ السيد البروجردي يرفض تلقيب العلماء بآية الله العظمى!!

ولم يوجد هذا في شيء من كتاباته ومراسلاته التي جرت بينه وبين أشباهه المراجع!

وأنا أقول : إنّ هذا مما ينبغي أن يطلق على الإمام الحجة "سلام الله عليه".

هنا بادره السيد المعمم بمداخلة قال:

ولكن لفظة عظمى وكبرى لم ترد في النصوص مع الإمام لتأتي شبهة الحصر فيه!

فوكز الشيخ ذهنَه الشارد بمعلومة، قال له: أينك عن قوله في الدعاء:

"وآيتك الكبرى والنبأ العظيم"[1]؟؟ وليس الترادف بين العظمى والكبرى في باب النعت أمراً خافياً فنَجلوه لك!

---

[1] دعاء الافتتاح

عصارة السيرة:

** لقد أراد الشيخ أن يكتب درساً في محبّة العلماء والفقهاء فيقول لنا: إنّ المحبّة لهم خير، ولكن لكل شيء عاهة، وعاهة محبّتهم أن نرتقي بهم ارتقاءً غير هادئ بل بما يشبه الوثب في الفراغ..

** ربما تبطر هذه الألفاظ ببعض طلبة العلم إذا استخدمت بشكل مفتوح مع كل أحد..

** لا يجب أن يحملنا الحب للموروث على أن نقتعد به المنزلة الأولى في الواجبات والضروريات، فإننا لو وسعنا منادح النظر، لوجدنا أنه ليس كل ما يتواضع الناس على قبوله يكون صحيحاً وأولى بالترجيح!!

** ونحن لا نشكّ أنّ هنالك أوسمة ونعوت هي صحيحة وضرورية؛ لأنّ بعضها ككلمة (حجّة)، و(فقيه)، و(فاضل) تعد فيصل التفرقة بين المبتدئ من الطلبة والفاضل والمجتهد منهم، على أنه لا يوجد شيء منها يكون أشبه بمثوبة المعصوم"عليه السلام" فنستكرهه كما هو الشأن في لقب آية الله العظمى مثلاً..

يجب أن ننظر إلى رأي الشيخ وإلى ما جرى عليه العموم ضده بكل ترحاب..

يعني أنّ هذا ليس تضارباً بل تعدداً، والتعدد لا محل للجزع منه، فالرأيان سيان في القيمة مهما كان بعضها أحظى من الآخر عندنا.

صدر للمؤلف :

١- معالم ليلة القدر المباركة.

٢- شرح دعاء الافتتاح.

٣- الشيخ بهجت كما حضرته (وهو هذا الكتاب).

٤- الابتعاث إلى الخارج هموم وقضايا.

٥- شواهد الإيمان تأملات في دعاء عرفة.

٦- هوامش تدقيقية على بحث حديث الكساء بين التواتر والوضع.

٧- الفريدة في الضرائح الجديدة (رسالة فقهية تحقيقية)

٨- جواهر الكلم (حوارية صريحة تتناول العلاقة الذاتية والرؤى النقدية الخاصة بالمشهد الثقافي بالاحساء).

٩- ديني ماذا يعرف عني (توجس فتاة حول ذكورية الدين).

كتب قيد الطباعة:

١-المؤسسة الدينية والمجتمع صلة وتواصل .

٢-منابر قرآنية:

- قوى الخير وقوى الشر في القرآن.
- دائرة العلاقة الاجتماعية في القرآن.
- مضامين قرآنية في الدين والمجتمع
- تفسير سورة العصر

الفهرس

روابط للتواصل الالكتروني:

موقع قبس

http://www.qabbas.com/

البريد الاكتروني لموقع قبس

qabbas123@hotmail.com

القناة على الفيس بوك

https://www.facebook.com/QabbasPage



الشيخ عبدالجليل البن سعد
www.qabbas.com



الرويس -المعمورة ، شارع خديجة همدر
هاتف : ٠٠٩٦١٣٦٠٦٨٢٩ سجل تجاري :٤٩٣٨٤